Converted by Tiff Combine - (no stamps are applied by registered version)

ب- رسالة الرواية وفكرتها:

كانت تلك خلاصة مركزة لابدّ منها للرواية، لتحديد ما اكتنزته من معانٍ ورؤى،وبسْط ما بدا على صفحة بنائها من جمالات أو هنات، سنعرض لها في السطور القادمة.

فقد اكتنزت هذه الرواية رسالتين اثنتين ظهرتا جليتين بين سطورها، وهما: الانتصار للحق والعدل أولاً، ثم الانحياز للفلاحين ثانياً. وبيان ذلك في أن المعلم (سلمان) يفتح عيني (عنيدان) على حق له عند شيخ المريجة (هدّاد)، وهو ثمن دم أبيه. وقد تجرأ هذا الفتى -ابن الخادمة والزانية معاً- على المطالبة بحقه! وناصره في ذلك معلمه (سلمان). ولكن الاثنين دفعا ثمن هذه الجرأة على المطالبة بالحقوق، الإبعادَ عن (المريجة)؛ فعنيدان أبعِد إلى المدينة، و(سلمان) نُقل، قسْراً، إلى قرية (أم النسور)- قرية الثلج الدائم.

أما الانحياز إلى الفلاحين، فقد تجسّد في قول المعلم (سلمان) للمهندس (مازن الخضراوي)- زوج هيفاء، وقد التقاه في (أم النسور): "الفلاحون هم أصحاب الأرض الحقيقيون، وهم الملاّك الأصليون، ولايجوز أن تنهب أرضهم لينقلبوا إلى أجراء فيها، فهذا ظلم اجتماعي"- (الرواية ٣٧٦). وقد جأر المعلم بهذه العبارات بعد أن لاحظ أن الدولة راحت تقسم أراضيَ (أم النسور)، بعد أن أعدّتها لزراعة التفاح المطوّر، إلى مقاسم، لتبيعها للأغنياء وذوي النفوذ والجاه، من غير الفلاحين القاطنين فيها.

والحقيقة أننا لولا هاتان الرسالتان في الرواية، لألفينا أنفسنا أمام رواية لافكرة فيها، ولا دلالة في أحداثها. ولايعقل أن تكتب رواية لمجرد إزْجاء الوقت في قراءة صفحات لايضيئها معنى، أو مغزى، إلا اللهم إذا كانت رواية بوليسية أو تشبه الرواية البوليسية.. ولست أرى في لقاء (هدية) بأبيها (هزّاع) في قرية (أم النسور) وإعلانها عن براءتها أمام أبيها، مغزىً ما... فالأحداث لم ترتّب على هذا الأساس أولا. وثانيا إنّ براءة (هدية) من ذنب لا إرادة لها فيه لاتحتاج إلى برهان، أو إلى لقاء بأبيها، الذي تركها طفلة، ولم يعرف ماجرى لها من بعد... لذا فإن نهاية الرواية، على مافيها من مفاجئة، لم تُعْطِ للرواية قيمة، أومعنى ، أو مغزى... ولو أن عبارات البراءة قد صدرت عن الأب، لاعن الابنة، لكانت أجدى وأذهب في الدلالة، شرط أن نفهم الأب رمزاً للمجتمع الظالم القاسي، بلعناته المختلفة، التي تعدّ لعنة الجنس أقواها هنا. ولكن الأب لم يكن كذلك في الرواية.